الجماعات الشعرية في الوطن العربي: تاريخ باتجاه مآلات غامضة

Poetic Groups in the Arab World: A History Toward Uncertain Futures

خميسي آدامي*
جامعة عباس لغرور- خنشلة-
adamikhemissi@univ-khenchela.dz

سهام أوصيف
جامعة عباس لغرور- خنشلة-
oucif.siham@univ-khenchela.dz

تاريخ الإرسال: **2025-09-17** تاريخ القبول: **2025-11-30**

ملخص:

الجماعات، الجمعيات، الروابط، الأندية؛ تسميات متعددة لهيئات أدبية وشعرية كثيرة عرفتها كثير من الآداب الإنسانية الحديثة، وهي في وجه من وجوهها، تَجَــلٍ لِتَشَكُّلٍ وَعْيٍ فِكْرِيٍّ وَإِبْدَاعِيٍّ وَجَمَالِيٍّ، يلتئم مجموعة من الأدباء أو الشعراء أو الفنانين على إبرازه والتعبير عنه في أنشطتهم الإبداعية. وهي تَجْسِيْدٌ لرغبةِ أَصْحَابِهَا فِي تَجَاوُزِ الفَرْدِيِّ المَعْزُولِ، المَحْدُودِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرِ، إِلَى الجَمَاعِيِّ الفَاعِلِ وَالنَّافِذِ؛ ظُهُورًا وَقُوَّةَ حُضُورٍ.

ولقد كانت نشأة هذه الجماعات في الوطن العربي، ظاهرة صحية منتجة، ورافدا غنيا يخصب الحركية الأدبية والشعرية والنقدية، ذلك أن "الجماعة" بمفهومها الإبداعي، عادة ما تكون انتصارا لرغبة محمومة في تجاوز السائد والمكرس، وهو الوعي الذي كانت هذه الجماعات تتوسل التعبير عنه، والكشف عن وعوده واقتراحاته في بياناتها وأوراقها التمهيدية والتأسيسية.

هذا البحث يحاول رصد هذه الظاهرة -الجماعات الشعرية – والكشف عن سياقات نشأتها في الوطن العربي، وتحليل أبعادها حضورا وفاعلية، ذلك أن الافتراض النقدي والمنهجي الذي تنطلق منه هذه المقاربة البحثية يذهب إلى أن هذه الجماعات ذات تاريخ حافل، غير أن مآلاتها تبدو في آفاقها المستقبلية القصية، غامضة، لا تكاد معالمها تبين..

الكلمات المفتاحية: - جماعات شعرية معاصرة؛ وطن عربي؛ سياق النشأة؛ تأثير؛ مستقبل.

Abstract:

. This study examines literary and poetic groups often called associations, circles, or clubs as expressions of a collective intellectual and creative awakening in modern cultures. Such groups arise from a shared desire among writers and artists to move beyond individual isolation and to establish a more coherent and influential collective presence. In the Arab world, they have been a dynamic force, shaping major literary, poetic, and critical movements.

*-المؤلف المراسل.

These groups frequently challenge dominant artistic norms, articulating their alternative visions through manifestos and foundational texts. Focusing particularly on poetic groups, the study traces their historical development and highlights the cultural and historical conditions that enabled their emergence. The research concludes that, despite their rich legacy and significant past impact, the future of these groups remains uncertain, marked by ambiguity and a lack of clear direction.

Keywords: Contemporary Poetic Groups- The Arab World- Context of Emergence-Influence -Future.

1- احترازات البحث وخطه المنهجي:

يتناول البحث ظاهرة الجماعات الأدبية والشعرية في الوطن العربي، وهي ظاهرة معقدة ومركبة، فهي فضلا عن بعدها الإبداعي الصميم، اللصيق بهويتها التي تتقدم بها إلى العالم، فهي ظاهرة لها أبعادها السوسيولوجية والسوسيوثقافية، التي تُمَثِّلُ في الآن نَفْسِهِ مَحَاضِنَهَا الأَسَاسِيَّةَ، فالجماعةُ الأدبيةُ، لَا تَتَشَكَّلُ إلا داخل منظومة من العلاقات الاجتماعية المتجانسة بين أعضائها، وضمن قيم مشتركة، ومصالح ثقافية وفكرية وإبداعية متناغمة، وهي في اللحظة نَفْسِهَا، تُمَثِّلُ حاملا ثقافيا، ذا حمولة إبداعية وفكرية، يرغب في إحداث أثر ما في الثقافة. من هنا فهي مشروع ثقافي، واقتراح إبداعي، يجدد حساسية الذائقة الأدبية، أو يهز القناعات الفنية وتقاليد الكتابة القائمة، أو يبشر بثورة إبداعية قادمة.

والبحث وهو يقترب من واقع هذه الجماعات، يتوسل بالتاريخي منهجا في الرصد والمتابعة، خاصة حين يتجه إلى الحديث عن الجماعات الأدبية العربية المُؤَسِّسَةِ، كما يتكئ على مفاهيم علم اجتماع الأدب المعني برصد الظاهرة من حيث النشأة والتخلق والعوامل المتشابكة مع مفاهيم الانتشار والتداول ورأس المال الرمزي والقراءة والتلقي وكتابة الهوامش، خاصة حين يتحدث عن الجماعات الأدبية والشعرية المعاصرة.

والواقع أن الباحث في هذه الجماعات الأدبية والشعرية في الوطن العربي، يجد نفسه محاصرا بجملة من العوائق والقيود التي قد تُعَتِّمُ على صورة هذه الجماعات، وتمنع البحث من الامتداد إلى المناطق المضيئة في تاريخها، مما يدعو إلى تقديم جملة من الاحترازات؛ لعل أهمها يكمن في:

1-1- يصطدم الباحث في هذه الجماعات؛ في مستويات النشأة والسيرورة التاريخية، والمنطلقات التي تَنَشَدُّ إليها حَرَكِيَتُهَا الإِبْدِاعِيَّةُ، وفي إنجازها المتحقق من البيانات والنصوص،

بعائق الضحالة في التغطية النقدية والتاريخية، وضآلة البحوث والدراسات التي اتخذت هذه الجماعات موضوعا ومادة لمعالجاتها. إذ بمجرد أن يتجاوز الباحث "الجيل الأول" من هذه الجماعات التأسيسية، مثل "الرابطة القلمية" و"العصبة الأندلسية" و"جماعة الديوان" و "جماعة أبوللو"

و "جماعة مجلة شعر"[1]، التي يفصلنا عن تاريخ نشأة آخر واحدة منها ما يكاد يصل إلى القرن من الزمان، حتى يجد نفسه أمام حالة من الفراغ والتشتت والاضطراب، إذ تغيب أو تكاد، الدراسات المهتمة بهذه الجماعات، المنشغلة بما نشأ منها في كثير من الأقطار العربية، في العقود الأخيرة من القرن العشرين، ومثيلتها الأولى من القرن الواحد والعشرين. وأمام وضع كهذا، فالدراسة مضطرة أن تركب صعبا، لا تتقبله الأدبيات المنهجية والأكاديمية إلا على مضض، وهو الاتكاء على المتابعات الصحفية لحركية هذه الجماعات، وتغطياتها لأنشطتها أو إصداراتها، وحتى أزماتها ونهاياتها.

1-2- تبعا للاحتراز الأول، فإن خارطة هذه الجماعات الأدبية والشعرية في الوطن العربي ليست واضحة الإحداثيات، ولا بَيِّنَةِ المَعَالِمِ، إذ بعد أُفُولِ الجَمَاعَاتِ التأسيسية الأولى، المشار إليها آنفا، التي كانت تحوز على مركزية مهيمنة وإشعاع رمزي كثيف، لارتباطها بأسماء

[1]- أُنْجِزَ كَمٌّ هَائِلٌ من الدراسات التي تناولت هذه الجماعات/ الاتجاهات/ المدارس...(تتباين التوصيفات النقدية لهذه جميعا) وتختلف في هذا التناول؛ فمنها ما درسها مجتمعة، ومنها ما تناولها مفردة، كما تختلف في منهجية الدراسة ومنطلقها، إذ منها ما ركز على تاريخها وسياقات نشأتها وظهورها، ومنها ما اتجه إلى دراسة منجزها الإبداعي والنقدي، ومنها أيضا ما تناول روادها وأعلامها...ويمكن أن ندلل على ذلك بالعناوين النقدية والبحثية الآتية: "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" لجورج صيدح- "الشعر العربي في المهجر الأمريكي – دراسة وتحليل- لوديع أمين ديب- "الشعر العربي في المهجر لإحسان عباس ومحمد يوسف نجم- "أدب المهجر "لعيسى الناعوري- "شعر من المهجر" لمحمد قرة علي- "قصة الأدب المهجري" لمحمد عبد المنعم خفاجي- "النثر المهجري" و" أوراق مهجرية: بحوث ومقاربات أحاديث ومحاورات- رسائل" - "الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطيقي في لبنان"- ليمنى العيد-"التجديد في شعر المهجر" لمصطفى هدارة- "جبران خليل جبران عبقري من لبنان" لفوزي عطوي- "الأدب العربي في المهجر" لمحمد عبد الغني حسن- "النزعة الإنسانية لدى شعراء المهجر: شعراء الرابطة القلمية أنموذجًا" لصلاح التوم إبراهيم محمد. فضلا عن الآلاف من المقالات والبحوث الأكاديمية في المؤسسات والجامعات العربية. ودون احتساب تلك الدراسات والأبحاث التي كتبت عن هذه الجماعات بلغات العالم الأخرى.

أدبية وشعرية كبيرة، أو لنشأتها وظهورها في مراكز مدينية كبرى، ساعدتها على البروز والاستقطاب والتغطية الإعلامية والمتابعة الأكاديمية•، أو لالتفاف أعضائها على إصدار صحف أو مجلات، تتولى في الغالب تنشيط تداولية هذه الجماعات والتقديم لأعمالها وإبداعاتها. أقول بعد أفول هذه، تبدو خارطة الجماعات الأدبية والشعرية المعاصرة مضطربة ولا مرئية، ذلك أن بعضها يولد سريعا ويموت بالسرعة نفسها، يفعل ذلك قبل أن تنتبه إليه أعين المتابعين والنقاد، ويغرق بعضها الثاني في محلية ضيقة ومتوارية، خاصة حين ترتبط نشأتها بمدن قصية أو أطراف هامشية، بما يعسر عملية انتقالها من دائرة الغياب إلى دائرة الحضور، ويمنعها من الأضواء التي تُسَلَّطُ غالبا على الأندية والجماعات المركزية أو المعروفة، بينما قد ينزوي بعضها الأخير في شرنقة "الشللية" والمتاه العلائقي الضيق، حيث يجتمع الشعراء وقلوبهم شتى، وحيث يتحول هيكل الجماعة إلى صنم من الملح، فارغ ومجوف، من حيث كان يرجى أن يكون هيكلا جامعا ومقتدرا.

أمام حالة كهذه، فإن الدراسة الحالية مضطرة، مرة أخرى، أن تكتفي بالبارز من هذه الجماعات، متخذة بعضها نماذج لمقاربتها، وقصارى ما ترومه أن تكون وفية لهذه الحدود الدنيا من الطموح.

3-1- أما الاحتراز الثالث؛ فهو الماثل في صعوبة الوصول إلى مصدرين أساسيين لكل دراسة تحاول الاقتراب من هذه الجماعات، الأول منهما هو بياناتها التأسيسية، التي تعد إعلانا فلسفيا وإبداعيا، تعبر فيها الجماعات عن رؤيتها وتموقعها الفكري وفلسفتها الإبداعية، وهي البيانات التي عادة ما تكون معيارا نقديا، يتخذه الناقد مؤشرا لقياس طبيعة ونوعية

•- من المهم أن ننتبه إلى أن هذه الجماعات التأسيسية الأولى قامت على أيدي أدباء وشعراء كبار، بما يعني من وجهة نظر معينة أن الشخصية الأدبية أو الشعرية كانت تضفي من قوة وحضورها وشهرتها على الجماعة، =أكثر مما تعطي هذه الجماعة لهذا الشاعر أو ذاك، فالعقاد يبدو وكأنه أكبر من "الديوان" وجبران ومخائيل نعيمة وأبو ماضي أشهر من "الرابطة القلمية" وأدونيس ويوسف الخال أعلى من مجلة " شعر"، على خلاف الجماعات المعاصرة، التي يبدو أن نشأتها والتئام أعضائها إنما جاء أساسا للخروج من دائرة الخفاء والتهميش إلى دائرة العلن والتمركز. فضلا عن أن المراكز المدينية التي ظهرت فيها هذه الجماعات مثلت عاملا حاسما في شهرتها وتعضيد قوة حضورها، فمدن مثل "نيويورك" في أمريكا، والقاهرة وبيروت وبغداد عربيا، كفيل بتغذية وتفعيل تداولية هذه الجماعات.

وتوجهات الخطاب الذي تحمله، كما يقيس به في الآن نفسه، درجة وفاء هذه الجماعة أو تلك للوعود والاقتراحات والاستشرافات التي أطلقتها لحظة التأسيس والانبثاق. أما المصدر الثاني فهو النصوص والأعمال والمنشورات التي تصدرها الجماعة، إذ غالبا ما تنطلق هذه الجماعات من إمكانات متواضعة، وقدرات مادية محدودة، متكئة- في الغالب- على مبادرات أصحابها، أو على مصادر شحيحة أخرى مختلفة، بما يعسر النشر الواسع لأعمال أعضائها، وإن كان هذا الواقع لا ينطبق -ضرورة- على كل الجماعات، خاصة بعد أن أتاحت الثورات التكنولوجية المتعاقبة فرصا واسعة، ومساحات رحبة أمام أدبائها وشعرائها للنشر والتواصل. وأمام حالة كهذه ستجد الدراسة نفسها مدعوة – مرة ثالثة- إلى الاكتفاء بما يتوافر لديها من هذين المصدرين، خاصة الأول منهما، لأهميته التأسيسية والمعرفية.

2- الجماعات المؤسسة- رمزيات الأسماء ومناخات النهوض:

يُقْصَدُ بِالجَمَاعَات المُؤَسِّسَةِ، في سياق هذه الدراسة، ما تَعَارَفَ النقادُ على توصيفه بأكثر من تسمية، لتلك "الجماعات" التي تُوصَفُ بالمدارس مرة، مثلما فعل "**نسيب نشاوي**" في كتابه:" مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر- الاتباعية- الرومانسية- الواقعية الرمزية- إذ يُطْلِقُ وَصْفَ "المدرسة" على هيئتين نشأتا في المهجر الشمالي والجنوبي؛ الأولى هي (الرابطة القلمية) والثانية هي (العصبة الأندلسية)[1]، ويميل بعض النقاد إلى تسميتها بـ :" الاتجاهات" جمعا، أو "الاتجاه" مفردا، كما نجد عند الناقد **عبد القادر القط** في كتابه "الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر"[2]، وإن كان مصطلح "الاتجاه" عنده ينسحب على جملة الجماعات المهجرية المعروفة•، وينتصر الناقد **محمد عبد المنعم خفاجي** لتوصيف "الجمعيات" مرة و" الجماعات" مرات كثيرة، في كتابه الحامل لعنوان: " قصة الأدب المهجري"[1].

---

[1]- نسيب نشاوي، 1984، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر- الاتباعية- الرومانسية- الواقعية الرمزية- دط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 177.

[2]- عبد القادر القط، 1988، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دط، مكتبة الشباب، القاهرة، ص 10.

•- يتجه جهد الناقد عبد القادر القط إلى الجماعات المعروفة والمكرسة، مثل الرابطة القلمية، والعصبة الأندلسية، وجماعتي الديوان وأبوللو، في حين أن قائمة هذه الجماعات أوسع قليلا من أن تتوقف عند هذه، فالنقاد يشيرون إلى جماعات أخرى، تنضاف إلى السابقة، وتنتظم معها في السياقات نفسها(المهجر)

وليس في وسع هذه الدراسة أن تفرد حيزا للحديث عن هذه الجماعات التي وصفها العنوان السابق بالمؤسسة، لأن المكتبة العربية أغنى ما تكون بالدراسات والبحوث التي تناولت هذه الجماعات أو "المدارس"، من حيث نشأتها وظهورها، ومن حيث الأسس والمنطلقات النظرية لفعلها الإبداعي، فضلا عن تلك توسلت بمناهج وأدوات نقدية كثيرة لدراسة متنها الإبداعي نفسه، أو تقديم سير روادها وبيان تأثيرهم في مجرى الأدب والعصر والحياة. ومن هنا فالدراسة لا تأمن السقوط في مزالق التكرار والرجع المعاد صدى فارغا، لو تنكبت طريق الحديث عن هذه الجماعات مرة أخرى.

وربما كان أنجع معرفيا، وأأمن منهجيا، لو اتسعت الدراسة – ما وسعها الحيز والمقام- للحديث عن السياقات العامة والمحاضن النقدية والسوسيوثقافية التي نشأت فيها هذه الجماعات، في منحى المقارنة بين تلك التي عرفها الأدب العربي في النصف الأول من القرن العشرين، وبين تلك التي نشأت وظهرت في العقود الأخيرة من نصفه الثاني أو في بدايات القرن الواحد والعشرين.

ويهدف إجراء المقارنة بين السياقات الحافة هنا، إلى الكشف عن خصوصية هذه الجماعات، من خلال إدراك التقاطعات الكبرى بين "جيل الجماعات الأولى" وتلك التي ظهرت بعدها، والفروق الجوهرية التي تفصل هذه عن تلك، في المقام الثاني. ولعل الأمر في هذه المقارنة، ينذر بالاتساع فلا يضيق، ويشي بالكثرة فلا يقتصد، ولعل الانسياق وراء ذلك هو مما يثقل هذه الدراسة ويرهق سيرها، ومن ثم فإن رصد عناصر هذه المقايسة في جمل كبرى مرقمة أأمن من العثار:

2-1- تختلف سياقات نشأة وظهور هذه الجماعات في الوطن العربي، ويتأسس الفرق واضحا بين جيلها الأول (الجماعات المهجرية: "الرابطة القلمية"- "العصبة الأندلسية"- "الرابطة الأدبية"...) وجماعتي "الديوان" و"أبوللو" و "جماعة مجلة شعر"..) وجيلها الثاني الماثل في

مثل: "رابطة منيرفا" و"الرابطة الأدبية"، و"جماعة القلم". وقد أشار إليها الناقد محمد عبد المنعم خفاجي، في كتابه:" قصة الأدب المهجري"، كما أشار "جورج صيدح إلى بعض أعلامها في كتابه " أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية".

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي، 1973، قصة الأدب المهجري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 82.

العشرات من الجماعات التي تختلف إحداثياتها الجغرافية في مشرق العرب ومغربهم، وتتباين في قوة حضورها وتأثيرها في مجرى الشعر والحياة الثقافية بعامة. لكن هذا الاختلاف في السياق العام لا يغطي على التشابه في المبدأ الكلي، والمنطلق المتجانس؛ وهو النزوع إلى التجاوز والتخطي، والنهود القوي نحو الخروج من الطوق، والتأسيس للانطلاقة البكر، وهو نزوع ظل يرافق مزاج كل الجماعات؛ القديمة والجديدة، ويشكله في الآن نفسه. فالجماعات الأولى التي يغلفها المزاج الرومانسي الجريح، ويؤجج جَمْرَهَا ثَوْرَةٌ عَارِمَةٌ على الماضي وتَمَرُّدٌ على أنساق الكتابة التي سادت فيه، والتي تحولت في منظور كثير من أقطاب هذه الجماعات إلى قيود، لا يمكن الذهاب إلى المستقبل دون تحطيمها، فهي أوثان وأصنام.. في كتابه "**الغربال**" الذي كتب **عباس محمود العقاد** مقدمته، وعده

هدية من أنفس هدايا الحرية المباركة التي عرفها المهجريون في عوالمهم الجديدة، وروحا من الحياة تَهُبُّ قوية على "مقاييسنا الآلية البالية."[1] يقول **مخائيل نعيمة**:" "إن الرابطة **القلمية** ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قراء العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الأدب رسولاً لا معرضاً للأزياء اللغوية والبهرجة العروضية "[2]، ثم يضيف: " فإن لم يكن لها إلا تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجمات فحسبها ثواباً. فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللغوية".[3]

في الطرف الآخر حيث يشتد توتر الوتر الحداثي الثوري يكتب **أدونيس**، وهو من أقطاب جماعة مجلة "شعر": "تعني الحداثة فنياً، تساؤلاً جذرياً يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها . وافتتاح آفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية. وابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل. وشرط هذا كله الصدور عن نظرة شخصية فريدة للإنسان

[1]- ميخائيل نعيمة، 1991، الغربال، ط 15، نوفل، بيروت، ص 12.

[2]- المصدر نفسه، ص 27.

[3]- المصدر نفسه، ص 28.

والكون."[1] ثم يضيف مركزا على الحداثة الأدبية والشعرية تحديدا" وهي، جوهرياً، رؤيا تساؤل واحتجاج :تساؤل حول الممكن، واحتجاج على السائد."[2]

فهذه الجماعات الشعرية إذن، أسست كل تصوراتها على التجاوز والتخطي، وأغلب الظن أن المد النهضوي العربي الذي كان قد دفع بشعراء الإحياء والبعث في آواخر القرن التاسع عشر، هو نفسه المد الذي ظلت موجاته تتدافع بقوة وجذرية، لتدفع بهذه الجماعات أيضا، لذلك كان خطابها الإبداعي يتجه إلى المستقبل بعناد، وكان خطابها النقدي يتولى نعي الماضي، ويدعو إلى كسر عظام عموده الفقري، وقد مثلت **الرابطة القلمية** الصوت الجهير لذلك، ويؤسس لميلاد أدب جديد لا نقيق فيه للضفادع.•

2-2-تَهَيَّأَ للجماعات الأدبية والشعرية المُؤَسِّسَةِ ظروفٌ متميزةٌ، تتفاوت الجماعات المعاصرة التي جاءت بعدها، في حظوظها منها؛ الظرف الأول هو قدرتها على إنشاء مجلات ونواد وصحافة ووسائط إبداعية كثيرة[3]، عضدت فِعْلَ تَدَاوُلِ خِطَابِهَا الإبداعي والنقدي، وتَجْذِيْرِ حضورِه في التلقي العربي مهجرا ومشرقا ومغربا، مستفيدة من مناخات تاريخية واجتماعية مواتية؛ سواء في المهجر[4]، أو داخل الوطن العربي، أما الظرف الثاني فهو أن أغلب هذه

---

[1]- أدونيس، 1980، فاتحة لنهايات القرن- بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة – ط 1، دار العودة، بيروت، ص 321.

[2]- المصدر نفسه، ص 321.

•- كتب ميخائيل نعيمة سلسلة مقالات هي كتابه الغربال، ومن بينها مقال "الحباحب" و"نقيق الضفادع" و"الزحافات والعلل"...وكلها مقالات لاذعة التهكم والسخرية والثورة على الأدب العربي في حاضره وفي ماضيه. وفيها جميعا يوجه نعيمة سهامه، أصابت أم طاشت، إلى تقاليد الأدب العربي القديم وكتابه وشعرائه.

[3]- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي،1973، قصة الأدب المهجري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 108 وما بعدها.

[4]- لعله من المهم أن ننتبه إلى السياقات الخاصة بهذه الجماعات، خاصة المهجرية، إذ استفادت بالتأكيد من الحراك السياسي اليساري الذي كان صاخبا في الولايات المتحدة في مطالع القرن العشرين، فضلا عن تصاعد =خطاب الثورة والتمرد عند كثير من الطبقات الدنيا في المهجر حينها، إلى جانب السجال الذي كان يدور بين أعضائها في "الأفنية الخلفية" مثلما حدث مثلا بين كثير من أعضاء الرابطة القلمية و"أمين الريحاني".

الجماعات، ينهض نشاطها على مسارين؛ إبداعي ونقدي، فإلى جانب أن أعضاءها هم أدباء وشعراء يمارسون الفعل الإبداعي في أشكاله الفنية المختلفة، فإن كل جماعة تقريبا، تملك "ذراعا" نقدية، تتمثل في ناقد واحد أو مجموعة من النقاد المنتمين إليها، أو المؤمنين برسالتها، يرفدون ما هو إبداعي عندها بما هو نقدي تنظيري، يسهم في التبشير والتمهيد لمقترحاتها الفنية والجمالية والإبداعية، ويتابع أعمال كتابها وشعرائها في المقالات والأعمدة الصحفية والتغطيات الإعلامية. **فمخائيل نعيمة** هو العراب النقدي للرابطة القلمية، و**العقاد** و**المازني** هما حارسا وناقدا "جماعة الديوان"، و"**أدونيس**" هو صاحب القبعة المزدوجة؛ شاعرا وناقدا، في جماعة مجلة "شعر". أما الظرف الثالث فهو اتساع دائرة "جمهور" هذه الجماعات وتأثيرها في الأدب العربي عموما، إذ على الرغم من أن هذه الجماعات كانت ذات طابع نخبوي في فكرها الإبداعي والنقدي، وارتفاع نموذجها الإبداعي عن العامة، ونزوع بعضها إلى حداثة تبدو الآن منفصلة عن شرطها الاجتماعي؛ مثلما يصدق الأمر هنا على "جماعة شعر" تحديدا، إلا أن تأثيرها الجماهيري كان كبيرا وواسعا، إذ كانت قصائد أبي ماضي، والشابي والقروي، وخواطر جبران وعواصفه، ومقالات نعيمة والعقاد، تحدث موجات متدافعة من الحماسة في التلقي العام، ولعل الأمر هنا يرتبط بطبيعة المرحلة التي كانت تعيش فيها أغلب الأقطار العربية تحت جاثم استعماري قاهر، وكان مزاج الجمهور جريحا مكبوتا ومحتقنا، وكانت كل هذه النصوص الإبداعية والنقدية تمثل فتحة القمقم الذي تتنفس منه هواء مختلفا.

هذا الظرف يبدو أنه لم يتهيأ بصورة مواتية للجماعات المعاصرة، فأغلبها لا يحوز على صف نقدي متقدم، ولا على أسماء نقدية ذات رمزية خاصة، ولذلك فإن وجها هاما من مشروعها يظل متواريا عن الأنظار، ومع أنه ليس شرطا أن يكون النقد مكونا أساسيا في كل جماعة، لأنها ذات هوية إبداعية بالتعريف، إلا أن النقد الذي يصدر عن الجماعة ذاتها يختلف حين يصدر عن غيرها، لأنه يمثل شهادة من الداخل، ويعكس بأمانة أكثر، وأصالة أعمق تَصَوُّرَهَا الإبداعي، كما أن هذه الجماعات المعاصرة تعاني من غياب كلي أو شبه كلي للرعاية والالتفاف اللذين يساعدانها على إنشاء مقرات خاصة، وإصدار مجلات ونواد وصحف مستقلة، خاصة بعد أن فقدت هذه الوسائط، أو بدأت تفقد، قوتَهَا التداوليةَ والتأثيريةَ، أمام تصاعد كثيف، لكنه غير مُوَجَّهٍ وَلَا مُتَحَكَّمٍ فيه، لوسائط إعلامية وإشهارية أخرى، وفرتها الثورات

التكنولوجية المتعاقبة بسرعتها المذهلة. فإذا ما انتهينا إلى جمهور هذه الجماعات المعاصرة، الذي يفترض أن تتسع قاعدته بفعل التكنولوجيات المعتمدة بقنواتها المختلفة، فإن الحكم على كثافة تلقيها الجماهيري، ونوعية هذا التلقي، ودرجة تأثيرها في مجرى الإبداع والثقافة والحياة، يظل صعبا وعسيرا، فهي محكومة موضوعيا، بأطر جغرافية محدودة، وإمكانات متناقصة، وإشعاعية غير مرئية كما يجب، وربما تنفرد بعض هذه الجماعات أو الجمعيات عن هذا المنطق، وتخرج عن بعض إكراهاته؛ مثلما هو الأمر مع "**بيت الشعر الجزائري**" ربما لأنه جمعية مؤسسة قانونيا، وليس جماعة أدبية أو شعرية مغلقة التوجه والذوق والحساسية، وهي منطلقة من فلسفة منفتحة على الأطياف والحساسيات الفنية والزمنية والجمالية والسياسية المختلفة، ومتعالية عن المحدودية الجغرافية الضيقة التي عادة ما تكون قيدا أمام الاتساع وقوة الحضور والتأثير، أو مثل بعض النوادي التي نشأت في بعض الدول العربية كالمملكة العربية السعودية كـ"**النادي الأدبي الثقافي بجدة**" عام 1975، أو "**نادي حائل الأدبي**" عام 1994. التي تتمتع برعاية وتأطير قوي من قبل وزارة الثقافة وهيئاتها، مما ساعدها على تثوير الحياة الأدبية والثقافية في بلادها.•

2-3- من الإشكالات المرتبطة بالجماعات الأدبية والشعرية المعاصرة، التي تطرح نفسها على الباحث بحدة، هي تلك المتعلقة "ببيانات "هذه الجماعات، حيث يصطدم بغياب هذه "البيانات" وصعوبة الحصول على متونها، وليس يدري الباحث هل هو بإزاء جماعات بلا "بيانات"، أم إن هذه "البيانات" رابضة في مكان ما، مما يعسر الوصول إليها.؟[1]!

•- هذه النوادي الأدبية وأخرى كثيرة في الوطن العربي، قد لا ينطبق عليها- ضرورة- وصف الجماعة؛ لأنها أوسع لاستيعاب حساسيات إبداعية وفكرية مختلفة، ولأنها نشأت في سياق سياسة ثقافية تشرف عليها هيئات رسمية، ومن ثم فهي مقيدة بأطر تنظيمية وإدارية معينة، لكنها مع ذلك تظل معبرة عن توجه أعضائها فكرا وإبداعا حتى وإن اتسعت لتوجهات كثيرة مختلفة.

- [1] من المهم أن يشار إلى أن جملة كبيرة من البيانات الشعرية والنقدية جمعها أدونيس في كتاب له يحمل عنوان "فاتحة لنهايات القرن- بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة- وهي بياناته الخاصة، وقارئ هذه البيانات يمكن أن يلاحظ أن بعضها ليس بيانا بالصورة التي نعهده عن البيانات عموما، بل هي مداخلات ومحاضرات ألقيت في مناسبات مختلفة، ومتوزعة على تواريخ مختلفة أيضا. أما الكتاب الثاني، والذي تعذر

و"البيان" هو من لوازم الجماعات والأندية الأدبية والشعرية، به تُعَرِّفُ نَفْسَهَا، وَبِهِ تَتَقَدَّمُ لِلْعَالَمِ، ومن ثم فهو ليس ترفا، ولا هامشا على متن، إنه عتبة الجماعة ومناصها، وهو"نص نقدي نظري، فردي أو جماعي، ينجزه شاعر (أو شعراء)، أو كاتب (أو كتاب) أو ناقد (أو نقاد)، في مفصل تاريخي/ ثقافي معين، يدفعهم إلى ذلك نزوع إلى التجديد والحداثة والثورة على المألوف."[1] وهو يأتي ليعبر "عن لحظة انفجار فكرية ووجدانية مخزنة في الذات، تنبثق من بين أعطاف نسق ثقافي يبدو في نظر كاتب البيان نسقا قاصرا مترهلا، عاجزا عن الفعل والفاعلية."[2]وقد كانت الجماعات الأولى تستغني عن البيانات بما يصدر عن عضو/أعضاء منها من كتب نقدية، تتولى في الغالب ترجمة موقفها من قضايا الأدب والفن والكتابة والوجود، مثلما هو الأمر مع كتاب "الغربال" لمخائيل نعيمة، و"الديوان" للعقاد والمازني، وربما شذت جماعة "شعر" عن هذا المسلك، إذ كان أعضاؤها يصدرون بياناتهم بصورة فردية؛ كما هو الشأن مع أدونيس و**يوسف الخال** في أكثر من بيان، وجماعية؛ كما حدث مثلا في العدد 29 من المجلة التي تصدرت بافتتاحية/بيان• حمل عنوان" الأزمة الشعرية العابرة"[3]،بل إنهم دشنوا تقليدا مختلفا، في العدد الأول الذي أصدروه من مجلة "شعر" عام 1957، إذ كانت افتتاحية/ بيان، هذا العدد مقالة قصيرة للشاعر الأمريكي" أرشيبلد ماكليش Archibald

---

على الدراسة الحصول عليه، فهو لمحمد لطفي اليوسفي، الذي جمع فيه عددا وافرا من البيانات لجماعات أدبية وشعرية ونقدية.

[1]- عبد الله العشي، 2005، زحام الخطابات، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو(الجزائر)، ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 13.

•- يختلف البيان عن الافتتاحية في كثير من العناصر، وإن ظلا يشتركان في أخرى، ولعل أبرز مظاهر المغايرة أن الافتتاحية تبدو ملازمة لكل عدد من أعداد مجلة ما، وهي قد تأخذ في الغالب طابعا تصديريا تقديميا لمواد العدد، وتعبر في المطلق عن تصور مشترك ومتفق عليه، أو تركز على تحول في مسار المجلة فكريا وإبداعيا، بينما يكون البيان في الغالب حدثا يحمل طابع الاستثناء، إذ هو لا يصدر كل يوم، ولا يرتبط بعدد بعينه، ويأتي في الغالب أيضا صادما ومربكا، يعبر عن تحول حاسم في فكر الجماعة أو خطها الإبداعي، كما قد يأتي ليعلن عن أزمة من أزماتها أو شرخ في بنيتها التركيبية، أو حتى إعلان نهاية الجماعة وانفراطها.

[3]- مجلة شعر، العدد 29، أفريل 1964، ص 6 وما بعدها.

MacLeish"،[1] بما يمكن أن يعبر عن تجاوب وتناغم بين رؤية هذا الشاعر وبين تصور المجلة لماهية الشعر، الذي ظل قائما عندها على الكشف والمعرفة والحدس والاستبصار، الذي حاولت التعبير عنه في أدبياتها المختلفة في أعدداها الموالية.

والخلاصة، أن البيانات تكتسي أهمية بالغة لدارس الجماعات الأدبية والشعرية، لا بوصفها مصادر للبحث والمقاربة فحسب، بل لأنها تمثل – حال الحصول عليها- سجلا فكريا وتوثيقيا، يترجم إيقاع الجماعة الفكري والإبداعي، وموقفها من السائد في محيطها، ويبلور رؤيتها الفلسفية والمعرفية، ويؤشر لتحولات خطها ونسق رؤيتها للعالم.

3- الجماعات الأدبية والشعرية في الوطن العربي: التوزع والتأثير

يحاول هذا العنوان أن يعاين واقع هذه الجماعات وفق منطلقين أساسيين؛ الأول تشير إليه مفردة "التوزع" التي تحيل إلى المدى الجغرافي والمكاني، حيث تظهر هذه الجماعة أو تلك، وتسعى إلى التموقع في هذا الفضاء، إعلانا للحضور فيه، وإنباءً عن الانتماء إليه. أما المنطلق الثاني؛ فتشير إليه مفردة "التأثير" في إحالة مباشرة إلى وَقْعِ هذه الجماعة لا في فضائها الجغرافي، بل في فضائها الإبداعي والشعري، والثقافي بعامة. وهذا يعني أن العنوان يطمح إلى إجراء مقاربة مزدوجة؛ **أفقية**، تتولى عملية المسح الممتدة على مساحة الوطن العربي، و**عمودية** في الآن نفسه، تُعْنَى بتأثير الفعل الإبداعي والشعري لهذه الجماعات في محيطها القريب أو البعيد.

والواقع أن هذا المسعى قد لا يتيسر، بما يُعَرِّضُ المُقَارَبَةَ في هذا الموضع للارتباك والنقص، ذلك أنه ليس بين يدي الباحث من المراجع والدراسات التي قد تساعد على القيام بعملية مسح أفقية دقيقة، تتسع لرصد كل الجماعات الأدبية والشعرية في الوطن العربي في المرحلة الزمنية المعاصرة، فبعض هذه الجماعات استطاع أن يثير الساكن الفكري والإبداعي والثقافي في محيطه، وأن يتخطى حالة التهميش والتغييب التي فُرِضَتِ على كثير من الشعراء فرادى أو جماعات، بما استقطب أقلام النقاد[2] ومؤرخي الأدب فضلا عن صحافة الأدب والفن، بينما

[1]- مجلة شعر، العدد 1، السنة 1، شتاء 1957، ص 3-4.

[2]- نذكر على سبيل التمثيل ما أنجزته الباحثة التونسية ابتسام الوسلاتي في دراستها المعنونة بـ" الهامشية في الأدب التونسي- تجربة جماعة تحت السور". الصادرة عن دار الجنوب عام 2019.

ظل بعضها الآخر يتحرك داخل دائرة محلية ضيقة، يقاوم بعناد حالة من الانكفاء داخل مدن ناكرة أو معزولة، مما لم يسمح لها بالبروز، فلم تصلها التغطيات الإعلامية المطلوبة، ولم يلتفت إليها النقد بالتقديم والتنقيب والكشف، في حين ظل نشاط بعض الجماعات نشاطا متقطع الأنفاس، يعلو في مناسبة معينة حينا، ثم يخمد أحيانا، فلا حراك.

واعتبارا لهذه الصعوبات الموضوعية، فإن الدراسة ستركز على الجماعات البارزة التي استقام لها أمر الوصول إلى بعض معطياتها التاريخية والأدبية، ومع أن هذا المسلك في البحث، انتقائي، ويظل بحاجة إلى تعضيد اختياراته بالمسوغات اللازمة، إلا أنه يساعد على رسم صورة ما عن هذه الجماعات الأدبية والشعرية المعاصرة في الوطن العربي، هذا فضلا عن أن الاختيار في كل بحث ليس خيارا، بقدر ما هو فرض عين منهجي، وتوجه ابستيمي؛ يلتقي فيه الذاتي مع الموضوعي، ويتعانق فيه العام مع الخاص. وستعتمد الدراسة في منحى المسح الأفقي على تراتبية زمنية، تتخذ من تاريخ إنشاء أو ظهور الجماعة معيارا، وستتوسل في المنحى العمودي لقياس تأثير هذه الجماعة أو تلك، قوة وضعفا، بما أصدرته من أعمال وما حققته من إنجازات، وبموقف المحيط الأدبي والاجتماعي والسياسي من أدائها، ودرجة تقبله أو رفضه لها.

3-1- **جماعة الفن والحرية-مصر-**: هي واحدة من أقدم الجماعات الفنية في مصر، وقد تأسست في سياق التراجع الفعلي أو الرسمي للجماعات التأسيسية الأولى كجماعتي "الديوان " و "أبوللو"، وإن ظل وهجهما الإبداعي وحضورهما الرمزي، يتأبيان على الانطفاء والخفوت، إذ أعلنت الجماعة بدايتها الفعلية في 22 ديسمبر1938، وهو تاريخ يختزل سياقا محليا وعالميا خاصا، فمصر أيامئذ كانت واقعة تحت الاحتلال الإنجليزي الذي بدأ سنة 1882، وكانت "الملكية" قد انتقلت إلى فاروق الأول بعد وفاة والده فؤاد الأول، وكان العالم يحتدم بالصراعات التي مهدت لقيام الحرب العالمية الثانية سنة واحدة بعد ذلك، غير أن الحياة الثقافية والأدبية والفنية والإعلامية في مصر حينها، كانت تغتلي قوة وثراء، وكانت القاهرة تستقطب الأنظار، وتشد الأسماع، وكانت الهالة الرمزية لأدبائها وشعرائها لا تني تزداد وتتسع، وكان الوافد الثقافي الغربي يجد لنفسه قنوات كثيرة، وحوامل فاعلة، وكانت التيارات الأدبية والفنية والنقدية، التجلي الأبرز لذلك كله.

والواقع أن جماعة الفن والحرية، ليست جماعة أدبية أو شعرية تعريفا، لكنها كانت متهجسة أكثر بالفن التشكيلي، ميالة أشد ما يكون الميل إلى الرسم، بحكم التوجه الإبداعي لأغلب أعضائها، ولم يكن الشعر والأدب يمثلان فعلا حقول اشتغال مكين عند هذه الجماعة. فمؤسسها **رمسيس يونان** فنان تشكيلي أولا، وناقد وشاعر ومترجم في المقام الثاني،

وربما اختلف "**جورج حنين**" عنه قليلا، إذ هو شاعر وكاتب أديب، وإليهما معا يعزى التأسيس لحضور السريالية في الثقافة العربية عموما، والمصرية تحديدا، وتشير كثير من المتابعات الصحفية القديمة والحديثة، إلى علاقة الصداقة الشخصية والأدبية بين "جورج حنين" ورائد السريالية "**أندري بريتون**" André Robert Breton " الفرنسي[1]، كما كان بقية أعضاء هذه الجماعة: "**كامل التلمساني**" والأخوين" **أنور**" و"**فؤاد**" **حسن كامل**، وغيرهم يتداولون أنشطة فنية وإبداعية مختلفة، رسما وشعرا وقصة. وقد أصدرت الجماعة بيانا اختارت له عنوانا صادما هو "**يحيا الفن المنحط**"، انسجاما مع شعارات السريالية الزاعقة في أحيان كثيرة، وردا على دعاوى النازية التي كانت قائمة حينها، والتي ظلت تحتقر الفن الحديث وتزري به وبأصحابه. ومن فقرات البيان:" نحن، الموقعين أدناه، نعلن تضامننا الكامل مع أولئك الذين أُدينوا واضطُهدوا باسم الفن، باسم حرية الخيال، وباسم الإنسان. نعلن أن الفن الذي يسعى للانعتاق من القيود الأكاديمية والدينية والسياسية هو الفن الحقيقي. نرفض كل سلطة تريد أن تُملِي على الفنان ما يجب أن يُقال، وما لا يجب أن يُفكر فيه. نرفع صوتنا عاليًا في وجه القمع النازي، الذي صنّف كل محاولة فنية حرة بالفن "المنحط."نعم، يحيا الفن المنحط!"[2]. ولا تكاد تخفى نبرة السرياليين في مقاطع من هذا البيان، خاصة في الدعوة إلى التمرد الغاضب، والجهر بضرورة كسر الحدود وتجاوز المتداول "فليحيا الفن الذي يرفض الخنوع للبرجوازية، وللدين، وللجيوش، وللاستعمار."[3] ، والذهاب فنيا وإبداعيا إلى المناطق القصية في ذات الإنسان

[1]- جورج حنين: قصائد ومقاطع نَثريّة، ترجمة وتقديم: مبارك وساط، https://alketaba.com- بتاريخ: 2025/05/19، الساعة: 12.30.

[2]- محمد بن حمودة، 2024، بيان "يحيا الفن المنحط " والمراهنة على مصالحة الفضيلة مع الفطرة، ط 1، خطوط وظلال للنشر والتوزيع، تونس، ص 12.

[3]- المرجع نفسه، ص 12.

" نحن مع الفن الذي يُعبر عن الإنسان في محنته، في رغبته، في حلمه، وفي تمرده. نحن مع كل من يسعى إلى تحرير الجسد والروح من كل قيد"[1]، ليصل أصحاب البيان للكشف عن أسلحة معركتهم الفكرية والفنية: " فليعلم أعداء الحرية: أننا سنقاومهم، بالكلمة، بالصورة، بالصوت، وبالحلم."[2]

غير أن نهاية هذه الجماعة لا تكاد تتناغم مع بدايتها المتحمسة الثائرة، فمجلة "**التطور**" التي كانت تصدرها توقفت عن الصدور بعد أعداد قليلة•، والمحيط الذي كانت تتحرك في سياقه، كان لا يني يضيق عن دعواتها التي تسربلت بمناخات سريالية متعالية، وغلبة اللسان الفرنسي على نشاطات كثير من أعضائها وإبداعاتهم، وبوهيمية أعضاء منهم، فضلا عن أطروحات مفارقة كانت الجماعة تعلنها بجرأة تصدم الذوق العام في كثير من الأحيان، وصولا إلى التباين الشديد في التركيبة البشرية للجماعة ؛ التي يرى كثير من الدارسين، بأنها أسهمت في تفككها وانفراطها. كل ذلك وقف ليعطي لنهاية الجماعة طعم التبدد والتلاشي، ويكرس اللازمة المأساوية التي تطبع تاريخ كثير من الجماعات الأدبية والشعرية في الوطن العربي.

ولعله من المهم أن يشار إلى أن مصر المعاصرة عرفت عددا وافرا من الجماعات الأدبية والشعرية، تختلف حضورا وتأثيرا، ومنها "**جماعة الجراد**" التي يرى بعضهم أنها تمثل امتدادا لجماعة الفن والحرية[3]، وجماعة "**مغامير**"التي تأسست في سبعينيات القرن العشرين، ثم أعيد بعثها بعد ثورة: 2011/01/25، و جمعية "**كتاب الغد**"و "**الإضاءة 77**" و جماعة "**أصوات**" و" **ورقة وقلم**" وجماعة "**ابن عروس**" التي التأم تحت لوائها شعراء العامية المصرية، من أمثال **عبد الرحمن الأبنودي وصلاح جاهين.**

---

[1]- المرجع نفسه، ص 12.

[2]- المرجع نفسه، ص 12.

•- صدر أول عدد من المجلة في يناير 1940، وصدر عددها الأخير في سبتمبر من العام نفسه.

[3]- https://www.raya.com/2007/05/14 - الجماعات الأدبية في مصر بين الشد والجذب، يوسف شعبان، بتاريخ: 2025/06/01، الساعة: 11.30.

2-3- جماعة "تحت السور" - تونس-

ظهرت هذه الجماعة إلى الوجود في ثلاثينيات القرن العشرين، في سياق نهضة واعدة في تونس، وضمت مجموعة غير محددة من المثقفين التونسيين، الذين جمعتهم الصدف في مقهى" تحت السور" الذي كان يقع في حي شعبي عريق في العاصمة التونسية، وتشير بعض التغطيات الإعلامية إلى أن الشاعر **أبا القاسم الشابي** كان واحدا من أعضائها، الذي كان ينتمي في المرحلة نفسها إلى جماعة "أبوللو"، إلى جانب **علي الدوعاجي** و**عبد العزيز العروي** و**عبد الرزاق كرباكة** و**محمد العربي** و**بيرم التونسي**. وقد كانت الجماعة تنشغل بقضايا المجتمع والثقافة، وتتخذ من الشعر والمسرح والرسم والموسيقى حقول نشاط إبداعي يعضد حضورها في الواقع القائم حينها.

وقد أنجزت الباحثة التونسية **ابتسام الوسلاتي** دراسة أكاديمية عنونتها بـ:" الهامشية في الأدب التونسي- تجربة جماعة تحت السور". صدرت عن دار الجنوب عام 2019. تناولت فيها مسار هذه الجماعة، محاولة إعادة تركيب سياقها العام، المرتبط باللحظة الاستعمارية من جهة، وظرفية المجتمع التونسي المتسمة حينها بسيطرة التقاليد فنا واجتماعا، فضلا عن التركيبة الفردية والمزاج الجماعي للجماعة، إذ كان أغلبهم ينزع إلى بوهيمية خاصة، ممهورة بكثير من الثورة والتمرد على المعايير الاجتماعية القائمة، وقد تسربت هذه الثورية إلى أعمالهم الإبداعية في الشعر والقصة والرسم.[1] دون أن تغفل في دراستها الإشارة إلى المناخات الغنائية التي تظافرت فيها نصوص الشعراء والمبدعين من "**جماعة تحت السور**" مع أصوات المغنين والمطربين التونسيين، من أمثال "**الهادي الجويني**" و " **الصادق ثريـــا**" و" **شافية رشدي**". وتأسيسا على هذا التلاحم مع الشعبي، والقدرة على تحسس نبض الشارع التونسي في بساطته وعفويته، يذهب كثير من الدارسين إلى أن أثر **جماعة تحت السور** إنما ينبثق من هذا الجذر تحديدا. وربما كان "**علي الدوعاجي**" الذي يقلده الناقد التونسي **توفيق بكار** لقب "أبي القصة التونسية الحديثة"، أبرز الأمثلة على هذا التلاحم الملتزم والعضوي.

[1]- ابتسام الوسلاتي، 2019، الهامشية في الأدب التونسي- تجربة جماعة تحت السور-، ط1، دار الجنوب، تونس، ص 69.

لقد كان الواقع التونسي عجينة، وكان علي الدوعاجي خزافا يتدبرها ويعالجها بثاقب فكره تصورا وتصميما وتمثيلا وتجسيما[1] ، حد تعبير توفيق بكار.

ولقد عرفت تونس المعاصرة عددا وافرا من الجماعات الأدبية والشعرية، مثل " **حركة نص**" التي أسسها مجموعة من الشعراء التونسيين هم: "**عبد الفتاح بن حمودة** "و"**أمامة الزاير**" و"**نزار الحميدي**" و"**صلاح بن عياد** "و"**زياد عبد القادر**" و"**خالد الهداجي**" و"**شفيق الطارقي**" و"**السيد التوي**" و"**عبد الواحد السويح**". وقد تأسست هذه الجماعة رسميا عام 2011، في سياق ثورة شعبية بدأت نذرها الأولى في 17 من شهر ديسمبر 1010 في مدينة "**سيدي بوزيد**" لتتوسع دائرتها إلى بقية المدن في 14يناير 1011، ويبدو أن هذه الجماعة قد انطلقت من **تراكم اجتماعي وسياسي** سابق لظهورها الرسمي، ولذلك كان أحد شعرائها المؤسسين وهو **عبد الفتاح بن حمودة** يقول إن الحركة انبثقت من خلال حراك سياسي واجتماعي وثقافي عام، ولكن إرهاصاتها كانت قبل ذلك بسنوات ضمن حراك ثقافي وشعري لم يعلن عن نفسه بوضوح إلا في عام 2011[2]. ولكنها نبتت **فنيا و إبداعيا** في تربة خصيبة مهدت لها الحداثة الشعرية العربية مشرقا ومغربا، ولم تنبت في أرض محروقة كما عبر الشاعر نفسه[3]. ولقد أصدرت هذه الجماعة أولى كتبها عام 2015، وسمته "**حركة النص**" ويضم مجموعة من البيانات الفردية التي كتبها أعضاؤها، فضلا عن نصوص إبداعية لهم، ومقالات كتبت عنهم، وحوارات أجريت معهم.

وقد تهيأت المناخات في تونس لظهور جماعات أخرى كثيرة منها " **حركة تجريب**" التي يقودها جملة من الشعراء الطالعين من خرائب الحاضر، ومنهم: " **أيوب السعدي**" و " **حمزة السعدي**" و" **سفيان رجب**"، في محاولة لرسم خط إبداعي يتجاوز الأجناس والأنواع، ويسعى إلى تفكيك السرديات الكبرى، وبناء آفاق ورؤى فنية وجمالية جديدة[4]. وينضاف إلى ذلك كله" بيت الشعر التونسي" الذي لا يقع هيكليا ضمن الجماعات الأدبية والشعرية، لأنه ينتظم داخل

---

[1]- علي الدوعاجي، 1987، سهرت منه الليالي، ط12، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 13- 14.

[2]- كمال الرياحي، هل تجدد "حركة نص" الحياة الثقافية بتونس؟

https://www.aljazeera.net/culture/2015/10/19/، بتاريخ: 2025/06/01، الساعة: 08.50.

[3]- المصدر نفسه، تاريخا وتوقيتا.

[4]- https://qannaass.com/ بتاريخ: 04/ 07/ 2025، الساعة: 9.54.

الهيئات التي أنشأتها وزارة الثقافة التونسية، ومن ثم فهو بيت مفتوح على استيعاب الحساسيات الفنية والإبداعية المختلفة، ومهيأ لاستقطاب الأصوات المتعددة. إنه منبر وطني عام، أكثر مما هو جماعة أدبية أو شعرية، تنهد إلى الفرادة والاختلاف، وتتأسس على الثورة ونسف المألوف والسائد والمكرس، مثلما تعبر عن ذلك بيانات كثير من الجماعات.

3-3- بيت الشعر الجزائري- الجزائر-

"بيت الشعر الجزائري" لا يشكل من حيث الهيكلية التنظيمية، ولا من حيث الرؤية الجَامِعَةِ وَالمُوَجِّهَةِ جَمَاعَةً شِعْرِيَّةً، بالمفهوم الذي يُقَدِّمُهَا - في الغالب- تَجَمُّعًا مَحْدُودَ العَدَدِ من الشعراء والفنانين، قَائِمًا -في الغالب- أيضا، على رُوْحِ انْفِصَالِيَّةٍ مُنْشَقَّةٍ، وعلى رُؤْيَةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ تنُاَوئُ الجَاهِزَ وَالمُكَرَّسَ، وَيَحْدُوهَا حُلْمُ وَإِمْكَانُ تَأْسِيْسِ تَقَالِيْدَ وَقِيمٍ فَنِّيَّةٍ وَجَمَالِيَّةٍ جَدِيْدَةٍ وَثُوْرِيَّةٍ.

"بيت الشعر الجزائري" إذا، ليس جماعة بهذا المفهوم، ولكنه جمعية وطنية تحصلت على اعتمادها الرسمي من وزارة الداخلية بتاريخ: 22/ أكتوبر/ 2017، بمقتضى القانون رقم 12-06، المؤرخ في 12/ جانفي/ 2012.[1] وتثبت الوثيقة نفسها رئاسة الشاعر "**سليمان جوادي**" لهذه الجمعية، والمنتخب خلال الجمعية العامة التأسيسية التي عقدت قبل هذا التاريخ. وقد تولى أمانتها العامة الشاعر "**عاشور فني**". ولعله من المهم أن نشير هنا أن "بيت الشعر الجزائري" لا صلة له ببيوت الشعر التي تنتشر في كثير من الأقطار العربية، فهو ليس فرعا من فروعها، ولا امتدادا من امتداداتها تنظيمية كانت أو ثقافية.

ومن المؤكد أن التفكير في جمعية وطنية بهذه الهيكلية التنظيمية، يكون قد بدأ قبل عملية الاعتماد والتأسيس الرسمية، وربما تستند بعض مسوغات هذا التفكير إلى "تهالك" المؤسسات الثقافية الرسمية، والمرتهنة بطبيعتها لأساليب من التنظيم الإداري ثقيلة ومتراخية، وطرائق في التسيير والتأطير الثقافي مترهلة ومتناقضة، فضلا عن غياب أو "تغييب" رؤية إبداعية وفنية وجمالية، تأخذ شكل مشروع ثقافي متكامل. لكن ذلك لا يجب أن يعني بأن "بيت الشعر

[1]- بين يدي الباحث نسخة من وصل تسجيل التصريح التأسيسي لجمعية وطنية، يحمل رقم: 17/30، والصادر عن هيئات وزارة الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية.

الجزائري" يقدم نفسه بوصفه مؤسسة موازية أو بديلة، بل إنه جاء ليكون تتويجا فعليا لأحلام كثير من الشعراء الجزائريين المعاصرين، وإطارا تنظيميا، لا يعنى" بالشعر وشؤونه" [1]فحسب، بل يمثل " مشروعا حضاريا ورهانا جماليا متعدد الأبعاد. يسعى لأن يكون بيتا للكينونة" [2].

وينطلق المؤسسون لهذا البيت الشعري من فلسفة تنهض على جملة من المبادئ الكبرى؛ **أولها** أن البيت يمثل إطارا جامعا، ينفتح على " كل الحساسيات والتوجهات والأشكال التعبيرية، ومفتوحا أمام كل الفعاليات والعقول التي يقع على عاتقها واجب المساهمة والإثراء لهذه الأرضية"[3] لأن أصحابها أرادوا لها أن تكون" خارطة طريق يستأنس بها شعراء البيت والمنضوون تحته في تعاطيهم مع الكتابة الشعرية"[4]. ويتأسس **ثاني** هذه المبادئ على الاعتراف بأن الجزائر تزخر بتنوع جغرافي وثقافي مرتبط بتاريخ عريق، وبمنظومة متكاملة من قيم " الاختلاف والتسامح وقبول الآخر ومحاورته وإبداع سبل خاصة في أساليب الحياة وأنماط المعيشة وتصور الحياة والعالم"[5]. وأن هذا الثراء لم يتح له أن ينبثق ويتدفق بالقوة المطلوبة، كنتيجة لسوء تدبير الشأن الثقافي والشعري، مما يدعو إلى اجتراح تفكير جديد، وهيئات جديدة تضطلع بهذه المهمات، خاصة بعد أن " تراجعت السياسات العمومية في بلادنا عن التكفل بواجب ترقية القيم الجمالية والرمزية المشتركة وازدادت انكبابا على معايير السوق والجدوى متخلية عن قيم الإبداع والابتكار الضرورية لتشكيل صورة المستقبل"[6].

ويحمل المبدأ **الثالث** بعدا عمليا وظيفيا، فالمؤسسون لهذا البيت، ينطلقون من تصور شبكي، يسعى إلى تجاوز المركزيات التقليدية، التي عادة ما تكون فضاءات مغلقة، تسيطر عليها

---

[1]- بيان/ وثيقة الجمعية الذي أصدرته في الذكرى الثانية لتأسيسها، وأعادت نشره بتاريخ: 27 مارس 2019. وأغلب الظن أن البيان من صياغة الشاعر عاشور فني.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- المصدر نفسه.

[4]- المصدر نفسه.

[5]- - بيان/ وثيقة الجمعية الذي أصدرته في الذكرى الثانية لتأسيسها، وأعادت نشره بتاريخ: 27 مارس 2019. وأغلب الظن أن البيان من صياغة الشاعر عاشور فني.

[6]- المصدر نفسه.

الولاءات الفردية والممارسات الإقصائية والانتقائية[1]، وتعضيدا لهذا التوجه فقد سعى " بيت الشعر الجزائري" إلى تأسيس فروع ولائية له، تكاد تصل اليوم إلى تغطية كاملة لتراب الوطن، ويهدف هذا التوجه التنظيمي إلى "تزويد الشعراء بوسائل التحرك في فضائهم الحي ومحيطهم المباشر".[2]

والواقع أن "بيت الشعر الجزائري" الذي اتسعت دائرة نشاطاته في المدى الزمني الذي بدأ من التأسيس إلى الحضور الراهن، خاصة من خلال بث حركية في فروعه الولائية، والدخول في شراكات تنظيمية مع الجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية والاقتصادية، باعتبارها سياقا محيطا، هذا السياق المحيط الذي لا يجب أن يظل حبيس منطق التلقي والاستقبال، بل يتوقع أن يتحول إلى فاعل من فواعل الحركة الأدبية والثقافية بعامة.

أقول إن هذا البيت الشعري يظل بحاجة إلى التفاف مجتمعي متعاطف، ذلك أن الشعر، مطلق الشعر، يبدو غريبا أو كالغريب في عالم اليوم، تحاصره إكراهات شديدة التوتر، قَدْ لَا تَبْدَأُ مِنْ حَاجَتِهِ المَاسَّةِ إلى تَنْظِيْرٍ مُسْتَأْنِفٍ أَو مُتَجَاوِزٍ، ولا تنتهي عند ضرورة إعادة النظر إليه كمنفذ خلاص من عالم تسيطر عليه التقنية ويبتلعه التسليع. كما أنه يظل بحاجة إلى متابعة نقدية جسور، تعاين إنتاج شعرائه، وتنصت إلى وعود نصوصهم، وتكشف عن جدوى الالتئام داخل بيت شعري واحد. في زمن سيطر عليه شعريا، الصوت الفردي، والتجربة الخاصة، خاصة بعد أن انفتحت أمام الشعراء – أو هكذا يبدو الأمر- فرص العبور إلى المتلقي من خلال الوسائط التقنية المختلفة، فلم يعد يشعر بالحاجة إلى الجماعات تؤويه، ولا إلى المنابر تعليه.

3-4- جماعة "الآن" – العراق-

مُنِيَ العراقُ المعاصر بأكثر المحن ضراوة، وأشدها شراسة، بلغ مداها التفكيكي درجة عالية من القسوة، وأتى على بنية المجتمع تمزيقا وتفتيتا، وأمام استعار وتكالب قوى الشر التي أجهزت على حاضر هذا البلد، مثلما أجهزت تماما على ماضيه، وأغرقته في حمأة صراعات داخلية وخارجية مدمرة. بدت الحياة الأدبية والفنية والشعرية في العراق شاحبة ماحلة،

[1]- المصدر نفسه.

[2]- المصدر نفسه.

ترملت بعد يفاع، وترمدت بعد توقد، إلا أن كل ذلك لم يكن ليغطي على تاريخ طويل من الإبداع وابتكار مشاريع وحرائق أدبية وشعرية وفنية كبيرة، لعل أجرأها هي تلك التي أشعل فتيلها المبارك شعراؤها الرواد وهم يجترحون "قصيدة التفعيلة"، إذ لم يزل ديوان الشعر العربي المعاصر يحفظ **للسياب ونازك الملائكة والبياتي** تأسيسهم الريادي لواحدة من أكثر موجات الشعر العربي المعاصر ثراء واكتنازا بالوعود والبروق والرعود.

ولقد ورث المشهد الأدبي والشعري العراقي، كل إحباطات الواقع ومآسيه، فبدا واقعا مضطربا مفككا وضائعا؛ في كل أصعدة الحياة، وعلى مدار فترة التسعينيات كان الشد والجذب على أشده بين الأطياف السياسية الحاكمة في العراق، وبين أولئك الذين هاجروا، وبين الذين ظلوا في حالة عصية وصعبة من التمترس داخل الوطن، وكان الحصار الذي ضُرِبَ عَلى أَبْنَاءِ العراق يطوح بالجميع؛ في متاهات الفراغ والألم والجوع والغضب المكتوم، في عراق كان يطعم أبناءه عسل نخيل مختوم.

في العقد الأخير من القرن العشرين ازداد الأمر سوءا، فقد كان المثقفون والكتاب والشعراء العراقيون متدثرين بغبار المعارك وصعوبة الحياة وشظف اللقمة والكلمة على السواء، وفقدت المؤسسات الثقافية والعلمية قدرتها على الحضور والتأطير والمرافقة، وهان بيت الحكمة، وتم توقيف أغلب المجلات العراقية النشطة التي كانت تصدر عن "دار الشؤون الثقافية" ويتعلق الأمر بمجلات: "الأقلام" و" المورد"و "آفاق عربية" و "الطليعة الأدبية" و "التراث الشعبي"، وَأَلَمَّ الخَطْبُ نَفْسُهُ بـ"دار المأمون" المهتمة بالترجمة والنشر. بل إن الأمر امتد كالمرض العضال ليمس إصدارات الأطفال[1].

في هذه المناخات المرتبكة ظهرت جماعة " **الآن**"، وكان الشعراء "**جمال علي الحلاق**" و " **فرج الحطاب**" قبل أن ينظم إليهم "**عباس اليوسفي**" مؤسسو هذه الجماعة، قد أصدرا بيانا سمياه: " «الرؤيا الآن/ كشفٌ في سمات الشعرية الأحدث» ثم عملا " فرج الحطاب" و "عباس اليوسفي" على إصدار عمل حمل عنوان: " الشعر العراقي الآن".

[1]- زاهر موسى، الجماعات الأدبية في عراق التسعينيات.. جيل تدثر بالغبار، موقع https://khatt30.com/post بتاريخ: 19/07/ 2025، الساعة: 11.46.

تقول فقرة دالة من بيان الجماعة: " إن ما يتقوقع من التجارب الشعرية ضمن إطار أيديولوجي يموت وينتهي بموت من هتفت له، وتبقى التجارب الشاملة"[1]. ولعل دلالة هذه الفقرة إنما تكمن أساسا في رفض النص الشعري الذي يتخندق ضمن الإيديولوجيا، يمجد توجهاتها، ويحتمي بقوتها، ويستعين بأجهزتها ليتكرس ويتمركز، دون أن يلتفت إلى الأبعاد والتجارب والقيم الإنسانية الكبرى والشاملة. ولعل شعراء هذه الجماعة يردون عبر هذه الفقرة وَأُخَرٌ غيرها على إغراق الشعر العراقي المعاصر في الاصطفافات والتحيزات اللاشعرية، كنتيجة طبيعية للانقسامات السياسية والمذهبية الحادة والمدمرة التي عصفت بالمجتمع.

وتحتل مفردة "الآن" موقعا مركزيا في قاموس هذه الجماعة، وهي تحيل عندهم على فكرة الانتماء إلى زمن الحاضر بكل ما يمور به من قوة وتدافع وحضور، وبكل ما يحيل عليه من طزاجة وحضور وآنية، تتجاوز الماضي، وتسعى إلى القفز على إحباطاته وانكساراته في الحياة كما في الفكر والأدب والكتابة. إنها جماعة تريد أن تنغرز في لحظتها الراهنة في نبرة مبطنة من الرفض لكل الماضي، ولذلك تصل الجماعة في بيانها إلى أن "الذاكرة القديمة تتحطم، وعلاقتنا العاطفية مع الأشياء تأخذ بعدًا آخر... الشوارع، الجسور، البنايات، الأصدقاء"[2]. ولذلك فهم بحاجة إلى "بوصلة ومراعٍ كي "نفرش" عليها ذهولنا"[3].

والواقع أن أثر هذه الجماعة لم يكن كبيرا، إذ لم توفق في تجذير حضورها في تربة العراق الشعرية، لعوائق ذاتية وموضوعية، خاصة بعد أن ضاقت البلاد بأهلها، وتقلصت آفاق الحلم عند الأدباء والشعراء والفنانين، وتحولت الهجرة إلى منفذ خلاص فردي عند كثير منهم، وهو المصير الذي انتهى إليه الشاعران المؤسسان **جمال علي الحلاق** الذي استقر في "**سيدني**"الأسترالية، بينما طوحت غربة الأمكنة بالشاعر **فرج الحطاب** في ولاية الصَّبَارِ وَالحَرِّ "**أريزونا**" الأمريكية، وظل زميلهم الثالث "**عباس اليوسفي**" منشغلا بالبحث الأكاديمي، ومشغولا بمرض عضال يفت في جسده.

---

[1]- نقلا عن المرجع نفسه، في التاريخ والتوقيت نفسهما.

[2]- نقلا عن المرجع نفسه، زاهر موسى، الجماعات الأدبية في عراق التسعينيات.. جيل تدثر بالغبار، موقع https://khatt30.com/post بتاريخ: 19/ 07/ 2025، الساعة: 11.46.

[3]- نقلا عن المرجع نفسه، في التاريخ والتوقيت نفسهما.

ولم تكن الساحة العراقية خالصة لجماعة "الآن" وحدها، إذ ظهرت جماعة "**قصيدة الشعر**" في النصف الثاني من التسعينيات، والتي يبدو أنها تنتظم داخل **رابطة الرصافة** للشعر العربي، ويتزعم هذه الجماعة شعراء عديدون منهم: "**بسام صالح مهدي**"و"**مضر الآلوسي**" و"**محمد البغدادي**"و "**نجاح مهدي العرسان**".

و"**رشيد حميد الدليمي**"و "**عارف الساعدي**". وتقوم رؤية هذه الجماعة على نزوع يسعى إلى استعادة أصالة فقدتها القصيدة العربية المعاصرة، خاصة في تشكيلها الموسيقي، بعد أن عصفت حرائق الشعر بالتجارب الريادية في منتصف القرن العشرين، وبدت الساحة بعدها مفرغة من الإبداع الشعري الأصيل، إذ طغت نزعة التجريب والحداثة وغامت الرؤية، وامتد السديم الذي بلا معالم ولا إحداثيات. ولذلك أطلق شعراء هذه الجماعة كل رصاصهم على قصيدة النثر، ونعتوا أصحابها بالنَّظَّامِيْنَ. وقد أصدروا عام 2002 بيانا سموه "بيان قصيدة الشعر" وفيه كشفوا عن رؤيتهم الإبداعية وعن تاريخية الحركة التي يتزعمونها، واضعين إياها داخل حركة أوسع وأشمل: "إن التعاقب التاريخي المكون لفقرات التصاعد الحضاري يحتم ظهور حركات فنية أو فكرية في كل مرحلة من مراحله، والحركة التي تولد من حتمية الاحتياج التاريخي لوجودها، تكتسب قدرة الشروع بمزاولة الإضافة إلى السابق . بما هو قيِّمٌ . وتخدم استمرار النمو الثقافي"[1].

وترتكز فلسفة هذه الجماعة على فكرة المغايرة التي " تبدأ من الانعتاق من ثوابت الاتباع، وبناء سقف دلالي شعري له ملامحه الخاصة، يعلو على السقوف السائدة وإكساب اللغة ولادة مدهشة وجديدة، تمتلك براءة المولد وقيمة الإدهاش الفني، كقيمة أساسية في أي أثر ناجح."[2]

وقد اتسع المشهد في العراق المعاصر لجماعات أخرى كثيرة منها جماعة " **كركوك**" التي أسس لها الشعراء: "**سركون بولص**" و"**فاضل العزاوي**" و"**صلاح فائق**" و"**جان دمو**".

ويبدو أن المناخات السياسية والفكرية والمذهبية المحتقنة في العراق المعاصر، كان لها الأثر البين في أغلب الجماعات الشعرية المتشكلة تحت لهيب المعارك وغبارها، وداخل أتون الصراع والموت والحصار، فضلا عن السجالات الشخصية التي كثيرا ما تأخذ منحى تصادميا ينذر

[1]- http://www.iraqiwriters.com/inp/view.asp بتاريخ: 2025/07/27، في الساعة: 11.39.

[2]المصدر نفسه، في التاريخ والتوقيت نفسهما.

بانفجار الجماعة من الداخل، كما حدث مثلا لجماعة "قصيدة الشعر" التي أصدر بعض شعرائها بيان "المراجعة" عام 2007 بالقاهرة، وضعوا فيه مسار الجماعة موضع النقد والنقض وإعادة النظر.[1]

4- الجماعات الشعرية: المآلات الغامضة:

ليس في وسع هذه الدراسة أن تحيط بكل الجماعات الشعرية المعاصرة المتوزعة في الوطن العربي شرقا وغربا، ولا شك أن النماذج التي اقترحتها الدراسة لا ترقى – ضرورة- إلى أن تقدم مسحا كافيا في الاتجاهين؛ الأفقي، المعني بتوزعها الجغرافي، وهو من الشساعة التي تقصر عنها دراسة كهذه، ولا العمودي، الذي يفترض أن يتجه إلى تكوينية هذه الجماعات، وعمق رؤيتها الشعرية والإبداعية، وقدرتها على النفاذ إلى مناطق إبداعية وجمالية مختلفة ومغايرة، بما يعضد طاقة تأثيرها في محيطها وفي حركية الأدب والشعر والثقافة في البيئة التي نشأت فيها.

وعلى الرغم من أن هذه النماذج لا تحوز على كفاية تمثيلية كافية، إلى أنها تعطينا هامشا مناسبا لطرح السؤال حول مستقبل هذه الجماعات ومآلاتها.؟

ويبدو أن إجابة هذا السؤال تستلزم الإقرار بأن كل إجابة ترتبط بالمستقبل، وتوسع حدقة رؤيتها نحو الآتي، في نزعة استشرافية رحيبة، إنما هي مدعوة أن تقرأ المعطيات الراهنة قراءة سليمة وفاحصة، وأن تنظر إلى هذه الجماعات لا على أنها نبت غريب يتفجر من الأرض غير ذات الزرع، بل بوصفها ظاهرة أدبية وتاريخية، تلتحم في نشأتها وتندغم في سيرورتها وحركيتها بالواقع المجتمعي العام، ولعل أكثر الأدلة تفصيحا لذلك هو أن أغلب الجماعات المعاصرة التي عرفها الوطن العربي في الشرق كما في الغرب، إنما تنشأ وتعبر عن حضورها في زمنيات اجتماعية محتدمة ومتشابكة، هي زمنيات الحيرة أدبيا، والتيه إبداعيا، والاضطراب والصراع سياسيا، والتهاوي اقتصاديا...إنها صدى لكل التفاعل الموار الذي يحدث في القرار السحيق من المجتمع.

[1]- البيانات الشعرية- مراجعة من الداخل- قراءة في بياني قصيدة الشعر، عارف الساعدي: https://amm.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mustansiriyah/article/view/605/548

ولا شك أن نشأة وظهور هذه الجماعات• هو ظاهرة صحية لأنها تترجم من وجهة نظر معينة مزاجا معتكرا يسيطر على أصحابها، ويدفعهم إلى الالتفاف حول فكرة، أو مشروع إبداعي وجمالي، يتأسس في الغالب على المناهضة والمناوءة ورفض القائم اجتماعيا وشعريا. ومن هنا يغدو النهر ملتقى لجداول كثيرة تغنيه، ومجاري متدافعة تثريه.

غير أن هذه الجماعات تصطدم في لحظتها الراهنة، وفي مستقبلها المتوقع بجملة كبيرة من التحديات والعوائق، لعلنا نستطيع أن نجملها فيما يأتي:

1- حالة التشظي التي تسيطر على الثقافة والأدب والفكر وضروب الكتابة المختلفة، وهي حالة عالمية وعربية في الآن نفسه، وهي حالة تتلبس بالتعدد دون أن تكونه، وتتزي بالاختلاف دون أن تتمثله، إذ لم تعد اللحظة المعرفية ولا حتى الأدبية والشعرية الراهنة، مسكونة بهاجس التجمع والالتفاف، ولا منتصرة للمشاريع الشعرية الكبرى، بل إن العكس تماما هو الذي يحدث. إنها لحظة الفرديات والتجارب الخاصة والمشاريع المستقلة. ولذلك تبدو الجماعات التي ترغب في التأسيس لسرديات كبرى وكأنها تحفر بأظافرها في الصخر الصلد، أو كأنها تسير بسفينتها عكس التيار الجارف العام.

2- حالة اللاحرب الشعرية: ونقصد بها أن مناخات السجال والتصادم بين التيارات الأدبية والشعرية، التي كانت في عقود سابقة تشعل حروبا طاحنة بين الأدباء والشعراء على صفحات الجرائد والمجلات، كتجل لاصطفافات سياسية وإيديولوجية، أو التزاما بقناعات فنية وإبداعية، أو تمترسا داخل مناطق فكرية في الماضي أو الحاضر، كل ذلك بدا اليوم فاقدا للتوهج، منذرا بحالة من الانزواء داخل قناعات فردية؛ تضيق وتتسع بحسب تجربة كل شاعر وحضوره في ضمير زمنه ومجتمعه، ولعلنا نستطيع أن نستحضر هنا التجارب المريرة التي عاناها شعراء قصيدة التفعيلة، وشعراء مجلة "شعر" وشعراء قصيدة النثر، حتى وإن لم يمتثلوا جميعا لتوصيف "الجماعة الشعرية".

•- من المهم أن نشير إلى أن الجماعات الشعرية هي طيف واحد من عشرات الأطياف الجماعاتية؛ فنحن نجد جماعات شعرية وأخرى سردية أسسها روائيون، وثالثة مسرحية، ورابعة لفنانين تشكيليين...بما يغني الحياة الأدبية والثقافية، ويدفع بها إلى التكامل والتناغم.

3- ميلاد "الشاعر المزيد Augmenté ": هذا النموذج من الشعراء هو نموذج تصاعد حديثا جدا، وترافق صعوده مع ميلاد وانتشار وتوسع وتنوع وسائل التواصل التقنية والتطبيقات التكنولوجية المختلفة، التي تشق طريقها وسط تهليل يمجد فتوحاتها مرة، وتوجس خائف مرتعب من انتهاء عصر الإنسان، وبداية عصر ما بعد الإنسان، مرة ثانية، وليس آخرها الذكاء الاصطناعي الذَّاهِبُ "إِلَى حَيْثُ لَمْ يَذْهَبْ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْ قَبْلُ، وَإِلَى حَيْثُ لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَتْبَعَهُ." [1]، وَوَصْفُنَا له هنا بأنه شاعر "مزيد" يعني أن التقنية وضعت بين يدي الشاعر المعاصر من الأدوات الفاعلة والسريعة والمؤثرة ما يُمَكِّنُهُ من الوصول إلى قارئه أو متلقيه بسهولة كبيرة، ناهيك عن تقنيات التحكم في النص وطرائق عرضه وحتى إشراك الجمهور المتلقي في " كتابته". من هنا لم يعد الشاعر المعاصر بحاجة إلى أكثر من حاسوب. التكنولوجيا تتولى كل شيء، وهي تفعل ذلك، تتراجع حاجة الشاعر إلى غيره من الشعراء، إنه ليس بحاجة إلى جماعة تدعمه وتقرأ له، وتفتح له منافذ الوصول إلى الجمهور عبر الأندية والملتقيات والأمسيات واللقاءات المباشرة. لقد أنتج الواقع الافتراضي لامركزية تفتح المجال لظهور الجميع، ومرئية الفرديات، لذلك لم يعد ممكنا الحديث - إلا بصعوبة- عن الموقع والدور الريادي، بل إن الحديث ليتسع الآن عن المسارات الفردية بعيدا عن كل شمولية وجماعية.

4- تبعا للعناصر السابقة يمكن الحديث عن سقوط أو تراجع سلطة "البيانات الشعرية"، بعد أن دخل الجميع في حالة من الانشطار والتشظي والعزلة الإرادية والقبول بكل شيء. فلقد كانت البيانات الأدبية والشعرية والفنية في العقود السابقة تفعل فعلها السحري في محيطها، تُثَوِّرُهُ وَتَهُزُّ قَنَاعَاتِهِ، وتشعره بالارتباك، وتستفز ذائقته، وتهيئه لاستقبال الصادم والمنشق والمغاير، بل إن بعض البيانات تتحول فعلا إلى مرجعية ثورية في الفكر والأدب والحياة والفن. حدث ذلك قبل أن تعصف بالمشهد العام عواصف كثيرة غيرت في تضاريس العالم وجغرافيته؛ فاختفت الجماعات، وغاب المشروع الشعري الجماعي، ولم نعد ننتظر صحيفة ولا جريدة ولا مجلة، يَتَصَدَّرُ صَفْحَتَهَا الأُولَى بَيَانٌ مُدَوٍّ، يؤسس لحريق شعري جديد أو مختلف.

[1]- نقلا عن: مارك كوكلبيرج، 2024، أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، تر: هبة عبد العزيز غانم، مراجعة: هبة عبد المولى أحمد، ط1، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ص 20.

5- أمام الخيارات الفردية المفتوحة أمام الشاعر المعاصر، تَشَكَّلَ مع مرور الوقت مِزاجٌ يسيطر على الشعراء والمبدعين، ويكاد يطبع الحياة الثقافية والأدبية العربية المعاصرة بميسمه، هو ضيق مساحة قبول الاختلاف والمغايرة عند هؤلاء، إذ على الرغم من أن أدبيات الشعر والشعراء عادة ما تكون ذات طابع تبشيري بقيم القبول والتسامح والانفتاح ونكران الذات، إلى أن واقع كثير من الجماعات التي عرفتها كثير من الأقطار العربية في العقود السابقة القليلة الماضية يشير إلى انتشار واستفحال ظاهرة الاستئثار بالسلطة والكلمة، وتغول منطق الجماعات الأدبية المسلحة، فكثيرا ما تؤدي الحساسيات الفكرية أو التحيزات الجهوية والقطرية، والاختلاف في التوجهات الفنية والإبداعية بين أفرادها إلى تفجر الجماعة من الداخل، ويؤول بها إلى الانفراط والانمياع.

الخاتمة:

تبدو "وضعية " الجماعات الأدبية والشعرية المعاصرة في الوطن العربي معقدة، فهي تمثل فعلا ظاهرة ثقافية صحية، وفاعلا شعريا مهما، يُخَصِّبُ الحياة الأدبية، ويغامر لاستكشاف مناطق إبداعية قد لا تكون مطروقة، ولكنها، وفي اللحظة نفسها، تعاني من إكراهات ذاتية وموضوعية كثيرة، ولعل الحديث عن مستقبلها يستدعي صياغة معادلة تركيبية وشبكية ذات أطراف متعددة؛ فمستقبلها مرتبط بمستقبل الشعر عموما، ومتصل بقدرة هذه الجماعات على تدبير شأنها في عالم مختلف، سِيَّالٍ، وفاقد للصلابة، التي كانت سمة بارزة فيه في قرون سابقة. ومع أن كثيرا من المؤشرات القائمة راهنا، تشير إلى أن مآلات هذه الجماعات غامضة، وأن مسارها نحو مستقبلها محفوف بمكاره التيه والتلاشي، إلا أن هذه الجماعات مدعوة إلى أن تفكر بطريقة أخرى، تسترفد فيها وعيا يقظا ونقديا، بكل المستجدات والمعطيات والأنساق الكبرى التي يتحرك فيها العالم. وأن تتوافر لها الشروط الآتية:

1- قيامها على مشاريع شعرية حقيقية، تعضدها رؤية فلسفية عميقة لقضايا الوجود وأدوات الكتابة.

2- إدراكا حصيفا لمفردات الواقع الذي تتحرك فيه؛ فغربة كثير من الجماعات أو تعاليها عن محاضنها الاجتماعية والثقافية، ينتهي بها في الغالب إلى الموت والاندثار.

3- القدرة على استغلال المنجزات التقنية والتطبيقات التكنولوجية المختلفة والمتنوعة لتكوين وبناء تصورات شبكية جماعية، بدل الانسياق وراء إغوائها الانعزالي الميال إلى الفردانية المغلقة والساكنة.

4- الدعم المادي والمعنوي من قبل المؤسسات الثقافية والاقتصادية، إذ على الرغم من إفلاس أو تراجع فكرة الدولة الراعية للثقافة، وهزال عمل مؤسساتها، إلا أن هذه الجماعات لا يمكن أن تؤدي دورها الريادي والإبداعي في مناخات الشح والتقتير والتضييق؛ ماديا ومعنويا.

المراجع:

1- محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1973.

2- ابتسام الوسلاتي، الهامشية في الأدب التونسي- تجربة جماعة تحت السور- دار الجنوب، تونس، ط1، 2019.

3- أدونيس، فاتحة لنهايات القرن- بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة - دار العودة، بيروت، ط1، 1980.

4- جورج حنين: قصائد ومقاطع نَثريّة، ترجمة وتقديم: مبارك وساط، -https://alketaba.com

5- زاهر موسى، الجماعات الأدبية في عراق التسعينيات.. جيل تدثر بالغبار، موقع https://khatt30.com/post

6- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، دط، 1988.

7- عبد الله العشي، زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي زو(الجزائر)، ط1، 2005.

8- علي الدوعاجي، سهرت منه الليالي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط12، 1987.

9- محمد بن حمودة، بيان "يحيا الفن المنحط " والمراهنة على مصالحة الفضيلة مع لفطرة، خطوط وظلال للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 2024.

10- ميخائيل نعيمة، الغربال، نوفل، بيروت، ط 15، 1991.

11- نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر- الاتباعية- الرومانسية- الواقعية الرمزية- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984.